

آراء المفسرين في اللفظ المعرب

في القرآن الكريم

د. عبدالله عبيد الدوسري (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين الذي أوتي جوامع الكلم ، وخصه الله بمعجزة القرآن ، وتحدى العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك الإتيان ، فكان عجزهم دليلاً على أنه من عند رب العالمين. وبعد :

فقد اختار الله تعالى اللغة العربية لتكون هي اللغة في مخاطبة عباده ، ووعاء لكتابه الخالد ، وكلامه الخاتم ، وفي ذلك الاختيار دليل على عظمة تلك اللغة ، وتلك مفخرة للأمة العربية التي حفظ الله لسانها من الزوال بحفظ القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١)

قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

وهذا التصريح الذي ورد في القرآن الكريم بكونه نزل عربياً على رسول الله ﷺ دفعني الي مراجعة كل الآيات التي تحدثت عن عروبة القرآن الكريم ،

(*) المركز العالمي للوسطية - الكويت .

(١) سورة الأنبياء الآية (١٠).

(٢) سورة فصلت الآية (٢).

آراء المفسرين في اللفظ المعرب

فوقفت على منهج معجز يتلخص في عنصر الانتقاء والاقتباس للأفصح والأبلغ من لغات العرب ، حيث كانت العرب تلتقي في مواسمها ، فيتعرف بعضها على لغات بعض ، وقد يقتبس منها ما يروقه ويعجبه منها ، خاصة في مواسم الحج التي تخللتها الأسواق الأدبية الثلاثة المشهورة في حياة العرب ؛ حيث يتبارى فيها الشعراء والخطباء والحكماء ويحكمون ذلك النتاج الأدبي كما حصل ذلك في القصائد الشعرية الرائعة المسماة بالمعلقات . وكانت قریش أجود انتقاء لأفصح الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأقواها إبانة عما يختلج في النفس من مشاعر وأحاسيس ، قال الفراء : " كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية ، وقریش يسمعون كلام العرب ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستبشع الألفاظ ^(١) .

وهذا يمثل إعدادا خاصا لتلك القبيلة للقيام بدور بارز في التاريخ ، يتلخص في خروج النبوة الخاتمة فيها، حيث ابتعث الله تعالى محمدا ﷺ رسولا من خيار العرب ، ونزل القرآن بهذا اللسان ليكون بيانه معجزا للعرب إلي قيام الساعة.

وإذا كان القرآن الكريم قد اشتمل على أفصح لغات العرب ، فهل وردت فيه ألفاظ غير عربية ؟

للإجابة عن هذا السؤال وجددتني مدفوعا إلي البحث في هذا الموضوع، متقصيا آراء العلماء عامة والمفسرين خاصة في هذه المسألة ، مشاركة مني في خدمة القرآن الكريم.

(١) الخصائص لابن جني ١١/٢ - ١٢ .

لهذا كله اخترت بحث (آراء المفسرين في اللفظ المعرب في القرآن الكريم).

وأرى من الضروري في هذه المقدمة ، قبل استعراض آراء العلماء في موضوع المعرب أن أذكر أقوالهم في تعريفه . ومن تلك التعريفات ما يأتي :

١- عرفه الجوهري : " تعريب الاسم الأعجمي " أن تتقوه به العرب على منهاجها نقول : عربته العرب ، وأعربته أيضاً ^(١)

٢- وقال السيوطي : " هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها" ^(٢).

٣- وعرفه الدكتور عبد الواحد وافي بأنه : " ما استعمله العرب الفصحاء من الألفاظ الموضوعة في غير لغتها" ^(٣).

فهذه التعريفات قدمت لنا مفهوم المعرب بشكل واضح ؛ حيث حصرته في الألفاظ التي استخدمها العرب من غير لغتهم ، فهل وقع في القرآن مثل تلك الألفاظ المعربة ؟

لدراسة الموضوع ، جعلت خطة البحث في مقدمة وثلاثة مباحث.

أما المقدمة ، فقد بينت فيها سبب اختيار هذا البحث وأهميته.

وأما المبحث الأول ، فإنه يتعلق بدراسة الأسباب التي أدت إلى تأثير اللغة العربية وتأثرها بغيرها من اللغات التي جاورتها.

(١) الصحاح للجوهري ، مادة (عرب).

(٢) المزهر للسيوطي ٢٦٨/١.

(٣) فقه اللغة . د. علي عبد الواحد ، ص ٢٠٥ .

== آراء المفسرين في اللفظ المعرب ==

وأما المبحث الثاني فإنه يتناول آراء العلماء - خاصة علماء اللغة وعلماء القرآن والفقهاء - في موضوع وجود المعرب في القرآن الكريم بصفة عامة .

وأما المبحث الثالث ، ففيه عرض لآراء المفسرين في وجود المعرب في القرآن الكريم.

ثم ذيلته بخاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع .

* *

المبحث الأول

اللغة العربية واللغات والمجاورة لها

من البدهيات التي قررها علماء الاجتماع أن الإنسان مدني بطبعه ، لا يعيش بمفرده ، ولذلك غلب الطابع الاجتماعي على معيشة الإنسان فكون القرى والمدن والمستعمرات البشرية ، وأسس الدول ، وشيد الحضارات عبر تاريخه الطويل على سطح الأرض . وقد أثبت القرآن الكريم هذه الحقيقة عندما قرر أن الله تعالى خلق البشر شعوباً وقبائل ، وبين أن هذا التنوع سبب للتعارف والألفة، ودافع للتأثر والتأثير بين الناس .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١)

" ولا شك أن الشعوب المتجاورة لا يمكن أن تعيش بمعزل بعضها عن بعض ، وكذلك اللغات لا يمكن أن تبقى بعيدا عن التأثر والتأثير مع وجود ظاهرة الاحتكاك ببقية اللغات المجاورة ، فهناك عوامل كثيرة تحتم مثل ذلك الاحتكاك ، وهي العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمعرفية .

ولا شك في أن المجتمعات الأكثر تحضرا وقوة ، تفرض تأثيرها - على نحو أو آخر - على المجتمعات الأقل تحضراً وقوة . وشيء شبيه بذلك يحدث بين اللغات فإن تأثير لغات الشعوب المتحضرة لا شك سيكون أقوى على لغات الشعوب الأقل منهم حضارة ، وقد خضع العرب - على نحو أو آخر - لتأثير

(١) سورة الحجرات ، الآية (١٣) .

آراء المفسرين في اللفظ المغرب

الشعوب المجاورة لهم والذين كانوا أسبق منهم حضارة كالفرس والروم ، وقد خضعت لغتهم أيضاً لتأثير اللغة الفارسية واليونانية واللاتينية " (١).

وقد تأثر العرب بالروم عندما احتل الرومان سورية وفلسطين سنة ١٠٥م وقسماً مما بين النهرين ، وحين حاولوا أن يردوا بعض قبائل عرب الشمال إلي داخل البلاد ليأمنوا شرهم ويعاقبهم على غزواتهم للمقاطعات العربية الرومانية وقد ظلت هذه العلاقات وثيقة العرى حتى أواخر الفتح العربي لتلك الأقطار سنة ٦٧٥ تقريباً.

ومع أن بعض قياصرة القسطنطينية للذين كانت تخضع تلك الأقطار لسيطرتهم يتكلمون اليونانية ، فإن اللغة اللاتينية - في أغلب الأحيان - كانت لغة الحكم والإدارة ، ومن ثم كان العرب في تلك الأقطار مضطرين إلي اقتباس بعض مفرداتها التي كانت تدعوهم الحاجة إليها (٢)

وكذلك احتك العرب باليونان منذ القرن الرابع قبل الميلاد حين فتح الإسكندر سورية وفلسطين ومصر وما بين النهرين ، والباحثون يقررون أن ما أخذته العربية في هذا الدور من اليونانية قليل بالقياس إلي ما أخذته من الفارسية ، ويذكرون من أسباب ذلك أن العرب قبل أن يحتكوا بالأمة اليونانية وآدابها كانوا قد احتكوا بالآراميين ، وأخذوا عنهم مئات من المفردات ، ولذا يرجحون أن أكثر المفردات اليونانية التي في العربية موجودة في الآرامية أيضاً (٣).

(١) التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة، د. محمد عبد العزيز ، ص ٩.

(٢) المفردات اللاتينية في اللغة العربية ، جوزي بندلي - ص ١٢٢٩ ، مجلة الهلال ، مجلد

(٣) بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية ، ص ٣٣٩ - ٣٤٨.

وأما اللغة الآرامية ، فهي إحدى اللغات السامية التي تركز أهلها في سهول سوريا وبوادي الشام ، وسيطروا على محطات القوافل الواقعة على خطوط التجارة البرية القديمة ، ودور اللغة الآرامية في منطقة الشرق الأوسط أكثر أهمية من دور الآراميين ، فقد انتشرت الآرامية انتشاراً واسعاً ، وأصبحت لغة التجارة والدبلوماسية ، بل إنها حلت محل العبرية. وبعد فتوح الإسكندر الأكبر ، احتفظت بمكانتها إلى جانب اليونانية ، وهي لهجات كثيرة ، أهمها : الآرامية والنبطية والسريانية.

وكانت اللغة الآرامية - على اختلاف لهجاتها - سائدة في كل بلاد فلسطين وسوريا وبين النهرين وفي بعض مناطق العراق .

وكان تجار مكة يتعاملون مع الآراميين في دمشق ، وكانت قوافل تجارتهم تجتاز جزيرة العرب وتنقل بين أسواقها . وكانت الآرامية - بالإضافة إلى أهميتها في عالم السياسة والمال - لغة الدين اليهودي الذي اعتنقه بعض العرب، كما كانت أيضاً من أهم لغات النصرانية التي دان بها كثير من عرب الحيرة وغان (١) .

وقد دخلت العربية كلمات كثيرة من اللغة الآرامية خاصة في زمن الجاهلية وأوائل الإسلام وكذلك في العصر العباسي ؛ إذ كان للسريانية - وهي من لهجات الآرامية - دور في دراسة العلوم الفلسفية والطبيعة والطب (٢) .

(١) الساميون ولغاتهم - د. حسن ظاظا ، ص : ١٠٢-١١٠.

(٢) التطور النحوي للغة العربية ، للمستشرق برجستراسر ، ص ٢٢٠.

وكذلك تأثر العرب بالحبشة من خلال قيام حضارتين متجاورتين ساميتين في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ، وهما : حضارة العرب وحضارة الحبشة.

" وقد اشتهرت اليمن قديماً بخيراتها وموقعها الممتاز على طرق المواصلات البرية والبحرية القديمة . ولهذا ، كانت محط أنظار الطامعين والمستعمرين ، ومن ثم ، كانت خاضعة لفترات للفرس والأحباش ، وانتشرت فيها المسيحية واليهودية وتصارعتا طويلا حتى قبيل الإسلام.

ولم يقتصر تأثير الحبشة ولغتهم على جيرانهم اليمنيين فحسب ، بل كان ثمة تأثير آخر على عرب الحجاز . ومن المعروف أن أبرهة الحبشي كان يبغي من حملته التأديبية على الحجاز أن يصرف العرب عن مكة ويكرههم على اعتناق المسيحية وأن يتجهوا في حجهم إلي نجران أو صنعاء . ومن سيرة النبي ﷺ نعلم أنه نصح بعض أتباعه بالهجرة إلي الحبشة لما كان يتوقعه من ترحيب أهلها النصراني بهم "(^١).

وأما اللغة الفارسية - وهي لغة من اللغات الإيرانية إحدى شعبتي (اللغات الآرية) أو (اللغة الهندية- الإيرانية) تلك التي تنتمي إلى الفصيلة الهندية أو الأوروبية - فنظراً للجوار بين العرب والفرس ، فقد بدا مظهر التأثير والتأثير واضحاً بين العربية والفارسية منذ أقدم العصور ، حتى لتجد أن معظم الكلمات الدخيلة في اللغة العربية كانت من اللغة الفارسية. ولعل هذا الأمر هو الذي حمل الأزهري لكي يقول إن من كلام الفرس ما لا يحصى مما قد أعربته

(١) الساميون ولغاتهم - حسن ظاظا ، ص ١٣٥-١٣٦.

العرب. وقد كثرت هذه الكلمات حتى أصبحت كلمة (الفارسي) مرادفة (للأعجمي) عند علماء اللغة (١).

ومن هذه الكلمات اصطلاحات الإدارة كالديوان والدهقان والمجوس والفرسخ والنيروز والصولجان، ومنها أسماء الأشياء الخاصة بالعجم أو المجلوبة من عندهم كالجاموس والمسك والإستبرق والإبريسم والسراج والخندق وغيرها (٢).

" وأما اللغة الهندية السنسكريتية ، فهي إحدى شعبتي اللغات الآرية ، أو اللغات الهندية الإيرانية. وقد عرف العرب قبل الإسلام بلاد الهند وأحبوها إلى حد أنهم اتخذوا من اسمها اسماً لنسائهم ، وعرفوا عطورها ، وأحجارها ، وسيوفها ، وثمارها . وكانت تجارتهم مع الهند عن طريق البحر ، فكان لا بد من أن تتأثر العربية بتلك اللغة وتستورد ألفاظاً منها " .

" ويوضح الدكتور مراد كامل أن هناك كلمات عديدة من اللغة الهندية دخلت العربية مباشرة أو بواسطة لغات أخرى . ومن بين تلك الكلمات : الياقوت ، الكافور ، المسك ، الزنجبيل ، الفلفل " (٣) .

وبعد هذا الإستعراض السريع لأهم اللغات التي أثرت في اللغة العربية وتأثرت بها لا بد من ملاحظة ما يأتي :

١- تعتبر اللغة العربية واحدة من أعرق اللغات السامية . والساميون كلمة تطلق لقباً على الشعوب الآرية والفنيقية والعبرية والعربية والبابلية

(١) المعرب والدخيل في اللغة العربية مع تحقيق الألفاظ الواردة في الكتاب المعرب ، للجواليقي ، د. عبد الرحيم السبحان ، ص ٢٣ .

(٢) التعريب في القديم والحديث ، د. محمد حسن عبد العزيز ، ص ٢٢-٢٣ .

(٣) اللغة العربية كائن حي ، جرجي زيدان ، هامش ص : ٣٩ تعليق د. مراد كامل .

والحبشية". وأول من استخدم هذا الوصف في إطلاقه على الشعوب السابقة، العالم الألماني شلوتزر في أواخر القرن الثامن عشر ، وقد اقتبسه مما ورد في التوراه في سفر التكوين بصدد أولاد نوح الثلاثة (سام وحام ويافت) والشعوب التي انحدرت من كل ولد منهم " (١)

٢- وإذا كانت اللغة العربية واحدة من أعرق اللغات السامية ، فإن وجود ألفاظ مشتركة بينها وبين بقية اللغات السامية لا يعني بالضرورة أن تكون تلك الألفاظ معربة ، بل غالباً ما ترجع الي الأصل السامي المشترك بين تلك اللغات لأنها تنحدر من عائلة واحدة ، فلا ينسب لفظ إلي الألفاظ المعربة من دون دليل قوي يثبت خروج ذلك اللفظ عن خصائص اللغة العربية واشتقاقها.

٣- إن اللغة العربية ليست بدعا من اللغات الإنسانية ، "... فهي جميعاً تتبادل التأثير والتأثير ، وهي جميعاً تقرض غيرها ، وتقترض منها متى تجاوزت أو اتصل بعضها ببعض على أي وجه ، وبأي سبب ، ولأي غاية . ومن يرم العربية مقصورة على الإعراب ، محبوسة عن التعريب ، ويزعم أنها بصيغها وأنواع اشتقاقها وحدها أعربت عن خصائصها الذاتية ، وأنها إن أدخلت على نفسها بالتعريب مصطلحات الحضارة شوهدت محاسنها ، وفقدت خصائصها ، وأنكرت نفسها بنفسها ، فليس يريد لهذه اللغة إلا الموت، وليس يعيش بعربيته إلا في بروج من العاج بناها له خيال سقيم (٢).

(١) فقه اللغة العربية ، د. علي عبد الواحد ، ص ٦.

(٢) دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي صالح ، ص ٣٦٦-٣٦٧.

٤- إن ما أدخلته العربية في ثروتها من لغات الأمم المجاورة لها ، أو التي لها بها ضرب من الاتصال عربته وأدخلته في لغتها قبل الإسلام حتى رأيناها في الشعر الجاهلي ونزل به القرآن ، ووجدناه في الحديث النبوي .

" ففي الجاهلية عرب عن الفارسية مثل : الدولاب والدسكرة والكعك والسميد والجلنار. وعن الهندية أو السنسكريتية مثل : الففل والجاموس والشطرنج والصنل. وعن اليونانية : القبان والقنطار والترياق ^(١) .

٥- إن أكثر الألفاظ التي احتاج العرب إلى تعريبها هي ألفاظ الحضارة والعلوم والفنون ، ونستثني من العلوم مصطلحات الفقه والحديث والتفسير وما إليها من العلوم النقلية ، فما أنس علماؤنا حاجة إلى تعريبها مثل حاجتهم إلى تعريب العلوم الدخيلة ؛ إذ كانت تعابيرها من صلب العربية ، وجاءت في كتبهم فصيحة محكمة.

٦- من الملاحظ أن اللغويين العرب عندما ألفوا في الدخيل والمعرب ، لم يحسنوا دائما التمييز بين العربي والأعجمي ، فكثيرا ما نجدهم ينفون العجمة عن لفظ بمجرد وروده في القرآن الكريم في حين نجد آخرين يسارعون إلى إلصاق العجمة بألفاظ عربية أصيلة من غير دليل على ذلك ، والعمدة في هذا الباب الإشتقاق ^(٢) .

* *

(١) المصطلحات العلمية للأمير مصطفى الشهابي ، ص ١٧.

(٢) دراسات في فقه اللغة ، د / صبحي الصالح ، ص ٣٧٣.

المبحث الثاني

آراء العلماء في وقوع المعرب في القرآن الكريم

اختلف العلماء - على تعدد اختصاصاتهم في التفسير والفقہ والحديث واللغة - في وقوع المعرب في القرآن الكريم اختلافا كبيرا ؛ حيث تباينت مواقفهم ، وتعددت آراؤهم في هذا الموضوع الخطير لكونه يتعلق بالقرآن الكريم. والمنتبغ لتلك المواقف يجدها ثلاثة ، لكل منها وجهته وأدلتها.

الرأي الأول: عدم وجود المعرب في القرآن الكريم:

ذهب إلى هذا الرأي فريق كبير من العلماء في القديم والحديث ، منهم الشافعي وابن جرير الطبري وأبو عبيدة بن المثنى والقاضي الباقلاني وابن فارس وغيرهم من كبار العلماء وكبار الباحثين القدماء ، ومن العلماء المحدثين: الشيخ أحمد محمد شاكر.

وقد فسّر هذا الفريق وجود تلك الألفاظ التي قيل بتعريبها بأنها ألفاظ مشتركة بين اللغات ، أو أنها ألفاظ عربية أصيلة انتقلت إلى اللغات الأخرى .

والأدلة التي اعتمد عليها هذا الفريق في تقرير مذهبه ما يأتي:

القرآن الكريم ، فقد صرّح مراراً في كثير من الآيات بأنه كتاب عربيّ مبين كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ^(١).

أ- وهذه الآية تدل دلالة واضحة على عربية القرآن ، وعلى عدم اتصافه بالعجمة. ولذا وجدنا الإمام الشافعي - رحمه الله - يقول في هذا المعنى: "فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها ، ثم أكد بأنه نفى عنه -

(١) سورة الزخرف ، الآية (٣) .

جلّ ثناؤه - كل لسان غير لسان العرب". ثم يشدد الإمام الشافعي النكير على من يدعي وجود شيء من غير لغة العرب في القرآن الكريم فيقول: "وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى به وأقرب من السلامة له إن شاء الله، فقال منهم قائل: إن القرآن عربي وأعجمي، والقرآن دلّ على أنه ليس من كلام الله شيء إلا بلسان العرب. ووجد قائل هذا القول من قبل ذلك منه تقليداً له، وتركاً للمسألة عن حجته ومسألة غيره ممن خالفه. وبالتقليد أغفل من أغفل منهم والله يغفر لنا ولهم (١).

ويقول أبو عبيدة - معمر بن المثنى - : "إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم على الله القول (٢).

ب- ما رواه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره من تفسير ألفاظ القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو غيرها، إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد.

يقول الإمام الشافعي: "ولا ننكر إذا كان اللفظ قيل تعلماً أو نطق به موضوعاً أن يوافق لسان العجم أو بعضها قليلاً من لسان العرب كما يتفق القليل من ألسنة العجم المتباينة في أكثر كلامها، مع تنائي ديارها، واختلاف لسانها، وبعد الأواصر بينها وبين من وافقت بعض لسانه منها (٣).

(١) انظر " الرسالة " للإمام الشافعي، ص ٤١-٤٧.

(٢) انظر الصحابي لابن فارس، ص ٤٦ والإتقان للسيوطي ١/١٧٨.

(٣) الرسالة، للإمام الشافعي، ص ٤٤-٤٥.

آراء المفسرين في اللفظ المعرب

ويقول أبو عبيدة - معمر المثنى - : " وقد يوافق اللفظ اللفظ ويفارقه ومعناها واحد ، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها . فمن ذلك : الإستبرق بالعربية وهو الغليظ من الديباج ، وهو إستبره بالفارسية ^(١) .

بل ذهب بعض العلماء من هذا الفريق إلي أبعد من ذلك حيث رأى أن تلك الألفاظ التي قيل بتعريبها إنما هي ألفاظ عربية فقدت أصولها وبقيت حروفها ، لأن اللغة العربية ضاع الكثير من مفرداتها قبل التاريخ ، ولكنها نقلت إلي اللغات الأخرى .

يقول الشيخ أحمد شاكِر - رحمه الله - : " والعرب أمة من أقدم الأمم ، ولغتها من أقدم اللغات وجوداً ، كانت قبل إبراهيم وإسماعيل ، وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية وغيرها ، بل والفارسية . وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدينتهم الأولى قبل التاريخ ، فلعل الألفاظ القرآنية ، التي يُظن أن أصلها ليس من لسان العرب ، ولا يُعرف مصدر اشتقاقها ، لعلها من بعض ما فقد أصله وبقي الحرف وحده " ^(٢) .

بل قد تكون خاصية الاتساع التي تتميز بها اللغة العربية على غيرها من الأسباب التي أدت إلي خفاء تلك الكلمات التي قيل بعجمتها عن العلماء ، ولا أدل على هذا المعنى من أنه قد خفي على ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو من هو في اللغة ، معنى كلمة (فاطر) ، فيروي هو عن نفسه فيقول : " كنت لا أدري ما (فاطر السموات والأرض) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما لصاحبه : أنا فطرتها ، أي بدأتها " ^(٣) .

(١) الصاحبى لابن فارس ، ص ٤٣-٤٤ .

(٢) المعرب للجواليقي ، مقدمة المحقق ، ص ١٣ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٤٦/٣ .

وإذا كان مثل هذا اللفظ قد خفي على حبر الأمة ، فلا يبعد أن تكون تلك الألفاظ التي قيل بتعريبها من هذا القبيل.

ويؤيد الإمام الشافعي هذا الرأي حبث يقول - رحمه الله - : " ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي " (١) .

ويرى بعض المفكرين المحدثين هذا الرأي فيقول " إن لغة احتكت بغيرها من اللغات الأخرى فأثرت فيها ، ووصلت إلي هذه الدرجة من التطور لا بد أن تكون مورداً لغيرها من اللغات الأخرى ، تمدّها بما تحتاج إليه من مفرداتها الواسعة. وبمرور الزمن أصبحت هذه المفردات العربية لبنات في بناء هذه الأمم ، ولا يصح في مجال التفكير السليم أن نقول : إن القرآن الكريم استعارها من هذه اللغات . وإذا قلنا ذلك، فهذا تحكم لا تسنده إلا هذه الأخبار التي ذكرها الرواة ، وهي أخبار واهية تتعارض مع صريح القرآن الكريم حينما يقول: (إنّا أنزلناه قرءاناً عربياً).

ومن العجب حقاً أن ندعي أن مفردات اللغة العربية التي عاشت هذا العمر الطويل وتطورت هذا التطور الكبير عبر التاريخ، وعبر الأجيال، تمثلها هذه المعاجم اللغوية، أو هذه الروايات التي جمعها رواة العرب حينما بدأوا يدونون اللغة . أجل لقد أحس بهذه الحقيقة راوية من كبار الرواة ، وعميد من عمداء اللغة، إنه أبو عمرو بن العلاء الذي يقول: " ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله ولو جاءكم لجاءكم علم وافر وشعر كثير " (٢) .

(١) الرسالة للإمام الشافعي ، ص ٤٢ .

(٢) دفاع عن كتاب الله تعالى / قضية الكلمات الأعجمية في القرآن الكريم ، د. عبد العال سالم مكرم ، مقال منشور بمجلة الوعي الاسلامي ، عدد ٨٢ .

آراء المفسرين في اللفظ المعرب

على أن العقل لا يمكن أن يسلم بأعجمية هذه الكلمات من ناحية أخرى، فهذه الكلمات - كما يقول السيوطي - أكثر من مائة لفظة، وهو عدد قليل جداً بالنسبة إلى كلمات القرآن الكريم التي تبلغ في رواية الفضل بن شاذان عن عطاء بن يسار سبعا وسبعين ألف كلمة، وأربعمائة وسبعا وثلاثين كلمة^(١).

ومن الحجج التي استند عليها هذا الفريق، أنهم قالوا: لو جاز أن يكون في القرآن شيء من غير لغة العرب، لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثل القرآن الكريم لأنه أتى بلغات لا يعرفونها^(٢) هذه خلاصة لأدلة الفريق الأول المنكر لوجود المعرب في القرآن الكريم.

الرأي الثاني: وقوع المعرب في القرآن الكريم:

وهذا مذهب فريق كبير من العلماء، على رأسهم الصحابي الجليل عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والضحاك، وعطاء من التابعين، وكذلك العلامة ابن جني، والإمام الجويني، وابن النقيب، وأبو ميسرة، والثعلبي، والسيوطي، وغيرهم. وقد اعتمد هذا الفريق على مجموعة من الأدلة، وأهمها ما يأتي:

١- ما أخرجه ابن جرير الطبري - رحمه الله - بسند صحيح عن أبي ميسرة، التابعي الجليل، قال: "في القرآن من كل لسان"^(٣).

ونقل الثعالبي عن بعضهم قال: "ليس لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن"^(٤).

(١) انظر البرهان للزركشي ٢٤٩/١.

(٢) هذا الرأي لابن فارس، انظر الصحابي، ص ٤٦.

(٣) مقدمة تفسير الطبري ٨/١.

(٤) انظر مقدمة المذهب للسيوطي، ص ٦١.

ويقول السيوطي في تعليقه على العبارة السابقة : " فهذه إشارة إلى حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ، ونبأ كل شيء ، فلا بد أن تقع الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ، ليتم إحاطته بكل شيء ، فاختر له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب " (١) .

٢- يعتبر وجود المعرب في القرآن من أهم الخصائص التي تميزه عن بقية الكتب السماوية السابقة. وينقل الإمام السيوطي - في هذا المعنى - عن ابن النقيب فيقول : " ثم رأيت ابن النقيب صرّح بذلك فقال في تفسيره : من خصائص القرآن الكريم على سائر كتب الله المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم ، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب (لهجاتها) ، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير " (٢) .

٣- عموم رسالة محمد - ﷺ - لجميع البشر يقتضي اشتمال الكتاب المنزل عليه ، على ألسن كثيرة ولغات عديدة. يقول الإمام السيوطي : " قلت وأيضاً ، فالنبي مرسل إلى كل أمة ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَانٍ قَوْمِهِ لِیُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ " (٣)

فلا بد أن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم ، وإن كان أصله بلغة قومه هو (٤) .

(١) الإتيان للسيوطي - ١٣٧/١ .

(٢) الإتيان - ١٣٧/١ وانظر مقدمة المذهب للسيوطي ، ص ٦٢ .

(٣) سورة إبراهيم الآية (٤) .

(٤) الإتيان - ١٣٧/١ وانظر مقدمة المذهب للسيوطي ، ص ٦٢ .

وردت أعلام أعجمية في القرآن الكريم اتفق النحاة على منعها من الصرف للعلمية والعجمة، وإن كانت الأعلام ليست محل خلاف بين العلماء ، فالخلاف حصل في غيرها ، ولكن إذا وردت الأعلام الأعجمية في القرآن الكريم مثل إبراهيم وغيره ، فلا مانع من ورود بقية أنواع الكلام ^(١) .

٥- أخرج ابن جرير - رحمه الله - في تفسيره بسنده عن سعيد بن جبير قال : قالت قريش : " لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً " ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ ^(٢) .
فأنزل الله بعد هذه الآية القرآن بكل لسان فيه (حجارة من سجيل) " فارسية " ^(٣) .

وقد ساق السيوطي رد هذا الفريق المؤيد لوجود المعرب في القرآن الكريم على الفريق الأول المعارض لوجوده فيه ، فقال : " وأجابوا عن قوله تعالى (قرآناً عربياً) بأن الكلمات اليسيره بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً ، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية ، وعن قوله تعالى : (أءعجمي وعربي) ، بأن المعنى من السياق ، أكلام أعجمي ومخاطب عربي ؟ ! " ^(٤) .

(١) الإتيان - ١٣٧/١ وانظر مقدمة المذهب للسيوطي ، ص ٦٠ .

(٢) سورة فصلت الآية (٤٤) .

(٣) تفسير الطبري ٦/١ .

(٤) الإتيان ١٣٧/١ .

الرأي الثالث: التوسط في القول بوجود المعرب في القرآن الكريم وعدم وجوده:

يقف على رأس هذا الفريق : الإمام الجليل أبو عبید القاسم بن سلام ، حيث يقول : " والصواب عندي: مذهب فيه تصديق القولين جميعا ، وذلك لأن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، ولكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلي ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال إنها أعجمية فصادق "(١).

وأيد الجواليقي هذا الرأي فقال : " وكلاهما مصيب إن شاء الله تعالى ، وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب الأصل ، فقال : أولئك على الأصل ، ثم لفظت به العرب بألسنتها فعربته ، فصار عربيا بتعريبها إياه ، فهي عربية في هذه الحال، أعجمية الأصل"(٢).

فإذا كان هذا الخلاف وقع بين العلماء من لغويين وفقهاء وأصوليين ، فإنه يجدر بنا أن نبحث رأي المفسرين في المسألة لمعرفة مدى إمكانية وقوع المعرب في القرآن الكريم.

* *

(١) راجع : الصاحبى لابن فارس ، ص ٢٩ والبرهان للزركشي ٢٩٠/١.

(٢) المعرب للجواليقي ، ص ٥.

المبحث الثالث

آراء المفسرين في وقوع المعرب في القرآن الكريم

إذا تتبعنا آراء معظم المفسرين في وجود المعرب في القرآن الكريم من خلال كتب التفسير ، أمكننا حصر تلك الآراء في رأيين اثنين فقط ، ولا نجد التفصيل ذاته الذي وقفنا عليه لدى غيرهم في هذا المجال ، منهم من ينكر وقوع الأعجمي في القرآن الكريم مطلقاً ، ومنهم من يذهب إلي أن بعض الكلمات من أصل أعجمي عربها العرب وأجروها على أصول كلامهم.

الرأي الأول : إنكار وجود المعرب في القرآن الكريم:

ذهب إلي هذا الرأي جماعة من المفسرين ، منهم :

الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ):

يتلخص رأي هذه الجماعة التي يتزعمها الطبري في أنه لا توجد في القرآن الكريم ألفاظ ترجع إلي أصول أعجمية ، اقتبسها العرب من العجم وعربوها ، وأدخلوها في لغتهم ، وما ورد من أخبار وروايات عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وغيرهم من المفسرين ، والتي تدل على أن هناك كلمات أعجمية في القرآن الكريم لا يعني ذلك أن تلك الكلمات لم تكن معروفة عند العرب قبل نزول القرآن ، ولكن غاية ما تدل عليه أنها من الكلام الذي اتفقت فيه ألفاظ بعض الأمم ، فهي ألفاظ مشتركة فيما بينها وليست إحداها مقتبسة من الأخرى. ومثال ذلك : اتفاق الفارسية والعربية في كلمات ، منها : الدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس وغيرها من الألفاظ. وكل لفظ اتفق على

استعماله بين أمتين لا ينسب إلي إحداها فقط، ولكن ينسب إلي كليهما، فيقال :
لفظ عربي أعجمي ، أو حبشي عربي أو فارسي عربي ، وهكذا (١) .

وسوف أسوق بعض الروايات التي أوردها الطبري في هذا الباب نماذج
تطبيقية لمذهبه السابق ، في معنى المعرب في القرآن الكريم وذلك خلال الأمثلة
الآتية :

١- أورد الطبري في تفسير كلمة (أكواب) ، التي جاءت في عدة مواضع في
القرآن الكريم ، ما نقله عن الضحاك قال : " الأكواب : جرار ليست لها
عرى ، هي بالنبطية : كوبا " (٢) .

٢- في تفسير كلمة (الجبث) من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى
مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ (٣) .

روى بسنده عن سعيد بن جبير في هذه الآية قال : " الجبث : الساحر ،
بلسان الحبشة ، والطاغوت : الكاهن " (٤) .

٣- وعندما فسّر قوله تعالى : ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ
تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ (٥) .

(١) يراجع - مقدمة تفسير الطبري ٩/١-١١ .

(٢) تفسير الطبري ١٧٤/٢٧ .

(٣) سورة النساء ، الآية (٥١) .

(٤) تفسير الطبري ١٣١/٥ .

(٥) سورة مريم ، الآية (٢٤) .

== آراء المفسرين في اللفظ المعرب ==

روى في معنى قوله تعالى : <سرياً> بسنده عن مجاهد : <سرياً> قال :
"تهراً ، بالسريانية (١) .

٤- وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ
وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴾ (٢) .

ذكر عن الضحاك في قوله تعالى : "من طور سيناء" : "الطور : الجبل ،
بالنبطية ، وسيناء : جنة ، بالنبطية (٣) .

٥- وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ
وَحَسُنَ مَا أَبْ ﴾ (٤) .

روى بسنده عن ابن عباس قال : "طوبى : اسم الجنة بالحبشة". وروى
بسنده عن سعيد بن مشجوع ، قال : "طوبى : اسم الجنة ، بالهندية (٥) .

٦- وفي تفسير كلمة (كُورَت) التي وردت في قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ
كُورَت ﴾ (٦) .

روي بسنده عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُورَت ﴾
قال (غُورَت) وهي بالفارسية ، وروي بسنده عن سعيد في قوله (كورت).
قال : (كورا) بالفارسية (٧) .

(١) تفسير الطبري ، ٦٧/٩ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (٢٠) .

(٣) تفسير الطبري ١٣/١ .

(٤) سورة الرعد ، الآية (٢٩) .

(٥) تفسير الطبري ١٤٦/٨ - ١٤٧ .

(٦) سورة التكويد ، الآية (١) .

(٧) تفسير الطبري ٦٤/١٥ .

٧- وعند تفسير كلمة منسأه المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانَُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (١) .

روي بسنده عن السدي قال : " المنسأة : العصا ، بالحشية . (٢) "

٨- وفي تفسير كلمة "منفطر" الواردة في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانَُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ السَّمَاءِ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ (٣) .

روي بسنده عن ابن عباس : (السماء المنفطر به) قال : " ممثلة ، بلسان الحبشة (٤) .

٩- وفي تفسير كلمة (هيت لك) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٥) .

روي بسنده عن الحسن : (هيت لك) قال : كلمة بالسريانية ، أي : عليك (٦) "

١٠- وفي تفسير كلمة (أوبي) التي وردت في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ (٧) .

(١) سورة سبأ ، الآية (١٤) .

(٢) تفسير الطبري ٧٣/١٢ .

(٣) سورة المزمل ، الآية (١٨) .

(٤) تفسير الطبري ١٣٨/١٤ .

(٥) سورة يوسف ، الآية (٢٣) .

(٦) تفسير الطبري ١٨٠/٧ .

(٧) سورة سبأ ، الآية (١٠) .

روي بسنده عن أبي ميسرة قال: "سبحان ، بلسان الحبشة (١)

هذه بعض النماذج من الروايات التي ساقها الطبري في تفسيره لألفاظ اتفقت فيها لغات البشر. ورغم وضوح رأيه في مسألة وجود المعرب في القرآن الكريم ، فإن الإمام السيوطي - رحمه الله أسند للطبري رأياً مخالفاً للرأي الذي اعتمده في هذا الموضوع ، فقد ذكر السيوطي في كتابه (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب) حيث عدّه من المؤيدين لرأي أبي عبيد القاسم بن سلام ، والذي ذهب إلي وجود ألفاظ معربة في القرآن الكريم، أصول حروفها أعجمية، ولكن العرب أعربتها ووضعنها في كلامها ، فأصبحت عربية ، فقد علّق السيوطي بعد ذكره رأي أبي عبيد السابق: "فقال وهذا هو الذي جزم به ابن جرير ، ومال إلي هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون (٢). وبذلك يظهر لنا خطأ السيوطي في إسناد هذا الرأي إلي الإمام الطبري ، رحمهما الله تعالى .

٢ - الإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ):

من المفسرين الذين أيدوا الطبري في موقفه من المعرب : الإمام الرازي - رحمه الله - وقد أعلن عن موقفه صراحة عندما قال : "ما وقع في القرآن من نحو المشكاة والقسطاس والإستبرق والسجيل ، لا نسلم أنها غير عربية ، بل غايته أن وضع العرب فيها وافق لغة أخرى كالصأبون والتتور ، فإن اللغات فيها متفقة (٣).

(١) تفسير الطبري ٦٥/١٢.

(٢) المهذب للسيوطي ، ص ٦٥ .

(٣) المزهر للسيوطي ٢٦٧/١.

وعبر عن ذلك الموقف الرافض وجود كلمات معربة في القرآن الكريم مرة أخرى عندما فسر قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

فقال: "ذهب قوم الي أنه حصل في القرآن الكريم من سائر اللغات ، كقوله: (إستبرق) و(سجبل) ، فإنهما فارسيان ، وقوله : (مشكاة) فإنها من لغة الحبشة، وقوله: (قسطاس) فإنه من لغة الروم ، والذي يدل على فساد هذا المذهب قوله "قرآنا عربياً" ، وقوله : "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه " ^(٢).

وعند تفسير كلمة (القسطاس) التي وردت في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ^(٣) .

قال : " والقسطاس في معنى الميزان ، إلا أنه في العرف أكبر منه. ولهذا، اشتهر في السنة العامة أنه القَبَّان. وقيل : إنه بلسان الروم ، أو السرياني . والأصح أنه لغة العرب وهو مأخوذ من القسط ، وهو الذي يحصل فيه الاستقامة والاعتدال ، وبالجمله فمعناه المعتدل الذي لا يميل الي أحد" ^(٤).

ومن المفردات التي حملها الرازي على كونها من قبيل المشترك بين اللغات: سندس وإستبرق وطور سنين ، حيث قال في تفسيره لكلمتي (سندس وإستبرق) المذكورتين في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَنِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا

(١) سورة فصلت ، الآية (٣).

(٢) تفسير الرازي ٩٥/٢٧.

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٣٥).

(٤) تفسير الرازي ٢٠٦/٢٠.

== آراء المفسرين في اللفظ المعرب ==
خُضْرًا مِّنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَكَيِّنٍ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ
مُرْتَقَاً^(١).

والمراد من سندس : الآخرة ، وإستبرق: الآخرة ، والأول هو الديداج
الرقيق ، وهو الخزء. والثاني هو الديداج الصفيق. وقيل : أصله فارسي معرب ،
وهو إستبره أي : غليظ ^(٢) .

وقال عند تفسير قوله تعالى : (وطور سينين) ^(٣) المراد من الطور : الجبل
الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عنده. واختلفوا في سينين ، والأولى عند
النحويين أن يكون سينين وسيناء اسمين للمكان الذي حصل فيه الجبل ، أضيفا
إلي ذلك المكان ، وأما المفسرون ، فقال ابن عباس في رواية عكرمة :
(الطور): الجبل. (وسينين) : الحسن ، بلغة الحبشة.

وقال مجاهد : (سينين): المبارك. وقال الكلبي : هو الجبل المشجر
ذو الشجر . وقال مقاتل : كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين، وسينا بلغة
النبط " ^(٤).

٣ - الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ):

من المفسرين الذين وافقوا الإمام الطبري في مذهبه السابق في المعرب
الإمام القرطبي - رحمه الله - ويظهر لنا رأيه خلال رده على ابن عطية المؤيد
لوجود المعرب في القرآن الكريم ، فقد رد عليه قوله إن الألفاظ المعربة أصلها
أعجمي فهي دخيلة على لغة العرب ، حيث قال ابن عطية : " هي أصل في كلام

(١) سورة الكهف ، الآية (٣١).

(٢) تفسير الرازي ١٢٢/٢١.

(٣) سورة التين ، الآية (٢).

(٤) تفسير الرازي ١٠/٣٢.

غيرهم ،دخيلة في كلامهم" ، فرد القرطبي على ذلك فقال : " وقوله : "هي أصل في كلام غيرهم ، دخيلة في كلامهم" ليس بأولى من العكس ، فإن العرب لا يخلو أن تكون تخاطبت بها أولاً ، فإن كان الأول ، فهي من كلامهم ؛ إذ لا معنى لكلامهم ولغتهم إلا ما كان كذلك عندهم. ولا يبعد غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم ، وقد قال ذلك الإمام الكبير أبو عبيدة.

فإن قيل : ليست هذه الكلمات على أوزان العرب فلا تكون منه ، قلنا : ومن سلم لكم أنكم حصرتم أوزانهم حتى تخرجوا هذه منها؟ فقد بحث القاضي عن أصول أوزان كلام عن العرب، ورد هذه الأسماء إليها على الطريقة النحوية ، وأما إن لم تكن العرب تخاطبت بها ولا عرفتھا، استحال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون . وحينئذ ، لا يكون القرآن عربياً مبيناً، ولا يكون الرسول مخاطباً لقومه بلسانهم ^(١).

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ ^(٢).

قال : قوله تعالى "ولو جعلناه قرآناً أعجمياً" ، أي : بلغة غير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته)، أي : بينت بلغتنا، فإننا عرب لا نفهم الأعجمية ، فبين أنه أنزله بلسانهم ليتقرر به معنى الإعجاز ؛ إذ هم أعلم الناس بأنواع الكلام نظاماً ونثراً. وإذا عجزوا عن معارضته كان من أدل الدليل على أنه من عند الله. ولو كان بلسان العجم ، لقالوا : لا علم لنا بهذا اللسان، وإذا ثبت هذا ،

(١) مقدمة تفسير القرطبي ٦٩/١.

(٢) سورة فصلت ، الآية (٤٤).

ففيه دليل على أن القرآن عربي ، وأنه نزل بلغة العرب ، وأنه ليس أعجمياً ، وأنه إذا نقل عنها إلي غيرها لم يكن قرآناً" (١).

ويظهر لنا من خلال ما سبق ، أن القرطبي يوافق الطبري في رأيه القائل بأن تلك الألفاظ التي قيل بتعريبها ، إنما هي ألفاظ مشتركة بين العربية وبعض اللغات . ومن ثم ، نجد القرطبي يورد في كثير من الأحيان أقوال السلف في لغات تلك الكلمات ، ولكن على مذهب الطبري الذي سبق بيانه. وسأذكر بعض الروايات في هذا الباب على النحو الآتي:

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ (٢) .

قال القرطبي : " اختلف أهل التأويل في تأويل الجبت والطاغوت ، فقال ابن عباس وابن جبير وأبو العالية : الجبت : الساحر بلسان الحبشة ، والطاغوت : الكاهن " (٣) .

٢- وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٤) .

قال : " والقسطاس - بضم القاف وكسر ها - الميزان ، بلغة الروم ، قاله ابن عزيز . وقال مجاهد : القسطاس : العدل ، كان يقول : هي لغة رومية " (٥).

(١) تفسير القرطبي ٣٦٨/١٥.

(٢) سورة النساء ، الآية (٥١) .

(٣) تفسير القرطبي ٢٤٨/٥.

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٣٥) .

(٥) تفسير القرطبي ٢٥٧/١٠.

٣- وقال في تفسير كلمة "إستبرق" المذكورة في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَقًى ۝﴾ (١) .

قال : "والإستبرق : الديباج . ابن بحر: المنسوج بالذهب. القتيبي : فارسي معرَّب. الجوهرى : وتصغيره أببرق. وقيل : هو استقل من البريق. والصحيح أنه وفاق بين اللغتين؛ إذ ليس في القرآن ما ليس من لغة العرب (٢).

٤- وعند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (٣) .

قال: وقال مجاهد : الفردوس : البستان ، بالرومية (٤) .

٥- وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ (٥).

قال : " روى ابن أبي نجيح، عن مجاهد : (طور سينين) قال : جبل (سينين) قال : مبارك ، بالسريانية... وقال مقاتل والكلبي : (سينين) كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة النبط" (٦).

وبهذا يظهر لنا أن هذا الفريق من المفسرين ، ذهب إلي عدم وقوع المعرب في القرآن الكريم ، وأن ما يظن أنه من قبيل المعرب إنما هو عربي

(١) سورة الكهف ، الآية (٣١) .

(٢) تفسير القرطبي ٣٩٧/١٠ .

(٣) سورة الكهف ، الآية (١٠٧) .

(٤) تفسير القرطبي ٦٨/١١ .

(٥) سورة التين ، الآية (٢) .

(٦) تفسير القرطبي ١١٢/٢٠ .

أصيل، انتقل إلي بقية اللغات ، أو هو من قبيل المشترك بينها، وهو رأي لا يقوم على دليل خصوصاً فيما يعتقدونه من جواز تأثر بقية اللغات باللغة العربية من غير أن تتأثر العربية بغيرها ، علماً بأن التواصل بين المجتمعات العربية وغيرها كان قائماً ولا ينكره أحد ، فكيف لا يتصور حدوث التأثير المتبادل؟!

الرأي الثاني : القول بوجود المعرب في القرآن الكريم:

ذهبت مجموعة كبيرة من المفسرين الي رأي مخالف لرأي المجموعة السابقة التي رفضت فكرة وجود المعرب في القرآن الكريم ، مثل ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم ، منهم:

١ - الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ):

من المفسرين الذين أيدوا وجود المعرب في القرآن الكريم الزمخشري ، وهذا ما عبر عنه في عدة مواضع من كشافه ، وسأكتفي بذكر المثالين الآتيين: عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾^(١).

قال : السندس : ما رق من الديباج . والإستبرق : ما غلظ منه . وهو تعريب إستبره . فإن قلت : كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي؟! قلت: إذا عرب خرج من أن يكون أعجمياً ؛ لأن معنى التعريب أن يجعل عربياً بالتصرف فيه وتغييره عن مناجاه وإجرائه على أوجه الإعراب^(٢).

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾^(٣)

(١) سورة الدخان ، الآية (٥٣) .

(٢) تفسير الكشاف ٥٠٧/٣ .

(٣) سورة الفيل ، الآية (٤) .

قال: "وسجيل : علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار ، كما أن سجيناً : علم لديوان أعمالهم ، كأنه قيل : بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون، واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال ؛ لأن العذاب موصوف بذلك ... وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : من طين مطبوخ كما يطبخ الأجر ، وقيل هو معرب من سنكيكل ^(١).

٢ - المفسر ابن عطية (ت ٥٤٢ هـ) :

يعتبر ابن عطية على رأس المجموعة القائلة بوجود المعرب في القرآن الكريم ، ورد رأي الإمام الطبري الذي فسر مسألة الألفاظ المعربة بأنها ألفاظ انتقلت فيها اللغات، وقدم تفسيراً لأسباب تسرب المعرب إلى لغة العرب، خاصة احتكاكهم بالأمم المحيطة بهم عن طريق السفر والتجارة وغيرها، وفي ذلك قال في مقدمة تفسيره : " اختلف الناس في هذه المسألة ، فقال أبو عبيدة وغيره: إن في كتاب الله تعالى من كل لغة ، وذهب الطبري وغيره إلى أن القرآن الكريم ليس فيه لفظة إلا وهي عربية صريحة وأن الأمثلة والحروف التي تنسب الي سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغتان ، فتكلمت بها العرب والفرس أو الحبشة بلفظ واحد ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ ^(٢) .

قال ابن عباس : نشأ : لغة الحبشة : قام من الليل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ ^(٣) .

(١) تفسير الكشاف ٤/٢٣٤.

(٢) سورة المزمل ، الآية (٦).

(٣) سورة الحديد ، الآية (٢٨).

قال أبو موسى الأشعري : كفلان : ضعفان من الأجر ، بلسان الحبشة . وكذلك قال ابن عباس في القسورة : إنه الأسد ، بلغة الحبشة . إلى غير هذا من الأمثلة . والذي أقوله : إن القاعدة والعقيدة ، هي أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسان آخر ، فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها ، فإنه كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتى قريش ، كسفر مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس إلى الشام ، وكسفر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة ، وكسفر الأعشي إلى الحيرة ، وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة ، فعلمت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت على تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ، ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ، فإن جهلها عربي ما ، فكجعله الصريح بما في لغة غيره ، كما لم يعرف ابن عباس معنى كلمة (فاطر) ، إلى غير ذلك . فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربتها ، فهي عربية بهذا الوجه . وما ذهب إليه الطبري من أن اللغتين اتفقتا لفظة لفظة ، فذلك بعيد ، بل إحداهما أصل ، والأخرى فرع في الأكثر ^(١) لأننا لا ندفع أيضا جواز الاتفاق قليلاً شاذاً . ^(٢) فهذا الكلام يظهر بوضوح رأي ابن عطية - رحمه الله - فهو يرى وجود ألفاظ معربة في القرآن الكريم .

(١) أي أصل في كلام العجم وفرع من كلام العرب .

(٢) يعني أن تفاوت اللغات وارد ولكنه على جهة القلة والشذوذ ، والأكثر هو أن تكون الكلمة الأصلية في كلام غير العرب ، ودخيلة في كلام العرب ، وانظر مقدمة المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٥٧/١ - ٥٨ .

وقد تتبعت ابن عطية في تفسيره في عدة مواضع ، فرأيتّه يعبر عن رأيه السابق في وجود المعرب في القرآن الكريم ، ومن تلك المواضع ما ذكره عن تفسير قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) حيث قال : أي : جعلناه بكلام العرب لقوم يعلمون ألفاظه ، ويحققون أنها لم يخرج شيء منها عن كلام العرب ، وكأن الآية رادة على من زعم أن في كتاب الله ما ليس في كلام العرب.... وبين أنه ليس في القرآن إلا ما هو من كلام العرب ، وإما على أصل لغتها وإما ما عربته من لغة غيرها ثم ذكر في القرآن ، وهو معرب مستعمل ^(٢).

وفي موضع آخر من نفس السورة عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَلْأَعْجَمِيُّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءَ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ^(٣).

قال ابن عطية - رحمه الله - " الأعجمي هو الذي لا يفصح عربيا كان أو غير عربي. والعجمي : الذي ليس من العرب ، فصيحاً كان أو غير فصيح. وهذه الآية نزلت بسبب تخليط كان من قريش في أقوالهم من أجل الحروف التي وقعت في القرآن الكريم ، وهي مما عرب من كلام العجم ، كالسجين والإستبرق ونحوه ، فقال عز وجل : " ولو جعلنا هذا القرآن أعجمياً " لا يبين ، لقالوا واعترضوا : " لولا بينت آياته " ^(٤).

(١) سورة فصلت ، الآية (٣).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٧٨/١٣.

(٣) سورة فصلت ، الآية (٤٤).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ١٢٤/١٣ - ١٢٥.

== آراء المفسرين في اللفظ المعرب ==
وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ (١).

نقل ابن عطية تفسير مجاهد - رحمه الله - في كلمة (القسطاس) وأنها تعني العدل، وهي "لغة رومية" (٢).

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَلْبِسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِّنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ (٣).

قال بعض المفسرين : هي لفظة أعجمية عربت ، وأصلها إستبره. وقال بعضهم : هو الفعل العربي سمي به ، فهو إستبرق من البريق ، فعبر حين سمي به بقطع الألف. ويقوي هذا القول أن ابن محيص قرأ (من سندس وإستبرق) ، فجاء به موصول الهمزة حيث وقع ، ولا يجره بل يفتح القاف" (٤).

٣ - الإمام ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) :

يرى الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - رأي القائلين بوجود المعرب في القرآن الكريم ، ويوافق أبا عبيد القاسم بن سلام في ذلك . وهذا ما عبر عنه صراحة عند تفسير قوله تعالى " قرآنا عربيا " في أول سورة يوسف - عليه السلام - حيث قال : " اختلف الناس هل في القرآن شيء بغير العربية أم لا ؟ فمذهب أصحابنا أنه ليس فيه شيء بغير العربية ، وقال أبو عبيدة : من زعم

(١) سورة الاسراء ، الآية (٣٥).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٨١/٩.

(٣) سورة الكهف ، الآية (٣١).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ٩ / ٣٠٢-٣٠٣.

أن في القرآن لسانا سوى العربية فقد أعظم على الله القول، واحتج بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١).

وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة أن فيه من غير لسان العرب ، مثل سجيل ومشكاة واليم والطور وأباريق والإستبرق وغير ذلك. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي (٢).

قال : أبو عبيد : "وهؤلاء أعلم من أبي عبيدة ، ولكنهم ذهبوا إلي مذهب ، وذهب هو إلي غيره ، وكلاهما مصيب إن شاء الله ، وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل ، فقال : أولئك على الأصل ، ثم لفظت به العرب بألسنتها فعربته فصار عربيا بتعريبها إياه ، فهي عربية في هذه الحالة أعجمية الأصل ، فهذا القول يصدق الفريقين معاً (٣).

وقد كرر الإمام ابن الجوزي موقفه السابق في العديد من المناسبات في تفسيره، ومن ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّتُ عَذْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَيِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٤)

قال ابن الجوزي : " فأما السندس والإستبرق ، فقال ابن قتيبة : السندس : رقيق الديباج ، والإستبرق : ثخينه ، قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال

(١) سورة الزخرف الآية (٣)

(٢) أبو منصور اللغوي هو أبو منصور الثعالبي عبد الملك : صاحب كتاب فقه اللغة وسر

العربية وهو من شيوخ ابن الجوزي ، سير أعلام النبلاء ١٧/٤٣٧ - ٤٣٨

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤/١٧٨ ، وفنون الأفنان في عيون علوم

القرآن ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤

(٤) سورة الكهف الآية (٣٢).

آراء المفسرين في اللفظ المعرب

السندس : رقيق الديباج ، لم يختلف أهل اللغة في أنه معرب... والإستبرق : غليظ الديباج ، فارسي معرب، وأصله : إستقره ، وقال ابن دريد : إستروه . ونقل من العجمة إلي العربية ، فلو حَقَّرَ (إستبرق) أو كُسِّرَ لكان في التحقير (أببرق) ، وفي التفسير (أبارق) بحذف السين والتاء جميعاً^(١).

ونقل ابن الجوزي تفسير ابن عباس لكلمة سجيل الواردة في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾^(٢).

فقال : " وفي السجيل سبعة أقوال ، أحدهما : أنها بالفارسية : سَنَك وكل ، السنك : الحجر ، والكل : الطين. هذا قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير^(٣).

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾^(٤).

قال : " قال مقاتل : كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء ، بلغة النبط^(٥).

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾^(٦).

(١) زاد المسير ١٣٨/٥ - ١٣٩.

(٢) سورة هود الآية (٨٢).

(٣) زاد المسير ١٤٤/٤.

(٤) سورة التين الآية (٢).

(٥) زاد المسير ١٧٠/٩.

(٦) سورة الواقعة الآية (١٧-١٨).

قال : " والأبريق : آنية لها عرى وخراطيم . وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي ، قال : الأبريق فارسي معرب ، وترجمته من الفارسية أحد شئين : إما أن يكون طريق الماء أو صب الماء على هيئة (١) .

٤ - المفسر أبو حيان الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ) :

إذا تتبعنا أقوال المفسر أبي حيان ، وجدناه يؤيد الرأي القائل بوجود المعرب في القرآن الكريم وهذا ما سنوضحه من خلال ما يأتي :

ساق أبو حيان في كتابه (ارتشاف الضرب من لسان العرب) فصلاً عن الأسماء الأعجمية في لغة العرب فقال : " صنف أبو منصور الجواليقي فيها كتاباً حسناً ، ودلائل العجمة مذكورة في باب ما لا ينصرف ، والأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام : قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها ، فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع ، نحو : درهم وبهرج .

وقسم غيرته ، ولم تلحقه بأبنية كلامها ، ولا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله نحو : آجر ، وإبريسم . وقسم تركوه على حاله غير مغير ، فما لم يلحقوه بأبنية كلامها لم يعد منها ، وما ألحق عدّها منها ، مثال الأول : خراسان ، لا يثبت به فعالان . ومثال الثاني : خرّم ، ألحق بسلم ، وكركم ألحق بقمقم (٢) .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ كَذَبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣) .

(١) زاد المسير ١٣٦/٩ .

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي ١٤٦/١

(٣) سورة الشعراء الآية (١٧٦)

اعترض على طعن المبرد وابن قتيبة والزجاج وأبي على الفارسي والنحاس والزمخشري ، لقراءة (ليكة) ، حيث قالوا: إن تلك القراءة لا تصح ، ووهموا القراء لأن مادة (ل ي ك) لم يوجد فيها تركيب فهي مادة مهملة. يقول أبو حيان بعد ذلك : "وأما كون هذه المادة مفقودة في لسان العرب ، فإن صح ذلك كانت الكلمة أعجمية ، ومواد كلام العجم مخالفة في كثير مواد كلام العرب ، فيكون قد اجتمع على منع صرفها : العلمية والعجمية والتأنيث^(١).

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾^(٢) قال: والقسيس : اسم أعجمي عرب^(٣).

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾^(٤).

قال: "وزعم الكسائي والفراء أنها لغة حورانية وقعت إلي أهل الحجاز، فتكلموا بها ، ومعناها تعال. وقال عكرمة. وقال أبو زيد : هي عبرانية هيتلخ ، أي : تعال ، فأعربه القرآن. وقال ابن عباس والحسن : بالسريانية، وقال السدي: بالقبطية : هلم لك ، وقال مجاهد وغيره : عربته.... تدعوه بها إلي نفسها ، وهي كلمة حث وإقبال ". ثم قال أبو حيان معلقا على ما سبق من أقوال في أصل هذه الكلمة : "ولا يبعد اتفاق اللغات في لفظ، فقد وجد ذلك في كلام

(١) البحر المحيط ٣٨/٧

(٢) سورة المائدة الآية (٨٢)

(٣) البحر المحيط ٣/٤

(٤) سورة يوسف الآية (٢٣)

العرب مع لغات غيرهم. ^(١) وهذا لا يلغي قوله بوجود المعرب في القرآن الكريم ، وأقصى ما يدل عليه أن من الألفاظ ما هو من قبيل المشترك بين اللغات.

وقال عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٢) .

وقرأ عكرمة (ملكوت) بالثاء المثناة ، وقال : ملكوثا ، باليونانية أو القبطية ^(٣) .

٥- ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) :

لقد تتبعنا أقواله في موضوع المعرب ، فلم أجد له قولاً صريحاً وفاصلاً في هذا الموضوع ، ولكن سياقه للألفاظ المعربة بصورة متكررة في تفسيره دون اعتراض منه عليها - وهو من أكبر المفسرين المحققين - يدل على تأييده لوجود المعرب في القرآن الكريم ، فقد ساق في مقدمة تفسيره كلام الإمام القرطبي في مسألة وجود المعرب في القرآن الكريم والذي أيد فيه رأي الإمام الطبري فقال: " قال القرطبي : أجمعوا على أنه ليس في القرآن الكريم شيء من التراكيب الأعجمية ، وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية كإبراهيم ونوح ولوط ، واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية؟ فأنكر ذلك الباقلاني والطبري ، وقالوا : ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات " ^(٤) .

(١) البحر المحيط ٢٩٣/٥

(٢) سورة الأنعام الآية (٧٥)

(٣) البحر المحيط ١٦٥/٤

(٤) تفسير ابن كثير ٩/١.

ثم يذكر ابن كثير في تفسيره العديد من الروايات التي تذكر الألفاظ المعربة في القرآن الكريم ، وسأذكر بعضها فيما يأتي:

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ ﴾ (١) .

قال ابن كثير : عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعكرمة وأبي مالك وسعيد بن جبير والشعبي والحسن : الجبت : الشيطان ، زاد ابن عباس : بالحبشة وقال العلامة أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه (الصحاح) : الجبت : كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك. وفي الحديث : (الطيرة والعيافة والطرق من الجبت) ، قال : وهذا ليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي " (٢) .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ (٣) .

قال : " قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (طوبي لهم) ، قال هي أرض الجنة ، بالحبشية " (٤) .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَنادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ (٥) .

أورد عدة روايات منها : ما نقله سفيان الثوري وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب :

(١) سورة النساء الآية (٥١) .

(٢) تفسير ابن كثير ١٠١/٢ - ١٠٢ .

(٣) سورة الرعد الآية (٢٩) .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٣٩/٣ .

(٥) سورة مريم الآية (٢٩) .

(قد جعل ربك تحتك سريا) ، قال : الجدول .
وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : السري : النهر . وقال
مجاهد هو النهر بالسريانية ، وقال سعيد بن جبير : السري : النهر الصغير ،
بالنبطية . وقال الضحاك : هو النهر الصغير ، بالسريانية " (١) .
وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ (٢) .
قال : " قال وهب بن منبه : هم أصحاب محمد ﷺ . وقال قتادة : هم
القراء . وقال ابن جريج ، عن ابن عباس : السفرة بالنبطية : القراء " (٣) .
وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ (٤) .
قال : " وأما السجيل ، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند
العرب : الشديد الصلب .
قال : وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية ، جعلتها العرب كلمة
واحدة ، وإنما هو سنج وجل يعني بالسنج : الحجر ، والجل : الطين . يقول
الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين " (٥) .

٦- البيضاوي (ت ٧٩١هـ) :

عبر الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى - عن رأيه في وجود المعرب
في القرآن الكريم عندما وقف على تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ
وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ (٦) .

(١) تفسير ابن كثير ١٤/٤ .

(٢) سورة عبس الآية ١٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٤٤/٦ .

(٤) سورة الفيل الآية (٤) .

(٥) تفسير ابن كثير ٤٨٠/٦ .

(٦) سورة الإسراء الآية (٣٥) .

فقال : " قوله تعالى (بالقسطاس المستقيم) : بالميزان السوي وهو رومي عرب ، ولا يقدح ذلك في عربية القرآن الكريم ؛ لأن الأعجمي إذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم في الإعراب والتعريف والتذكير ونحوها ، صار عربيا " (١) .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ (٢) .
قال : (من سجيل) : من طين متحجر ، معرب سنك وكل " (٣) .

٧- الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)

يعتبر الإمام السيوطي - رحمه الله - من أكثر العلماء المؤيدين لوجود المعرب في القرآن الكريم ، وليس أدل علي ذلك من كتابه الذي صنفه في الألفاظ المعربة في القرآن ، والذي عنون له بـ (المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب) فهذا الكتاب جمع فيه الألفاظ التي قيل بتعريبها ، وحصرها في ستة وعشرين ومائة كلمة ، والملاحظ أن السيوطي قد توسع في عد تلك الألفاظ المعربة ؛ حيث يرى كثير من العلماء أن بعض تلك الألفاظ التي ادعي السيوطي عجمتها هي ألفاظ عربية الأصل ، أو من الألفاظ المشتركة بين اللغات خاصة السامية منها .

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلي أن نذكر كتابا آخر للسيوطي أيد فيه فكرته السابقة في وجود المعرب في القرآن الكريم ، وهو كتاب (الإتيان في علوم القرآن) والذي تحدث فيه عن المعرب في القرآن تحت عنوان (فيما وقع بغير لغة العرب) .

(١) تفسير البيضاوي ٥٨٤/١ - ٥٨٦ .

(٢) سورة الفيل الآية (٤) .

(٣) تفسير البيضاوي ٥٧٦/٢ .

وهناك كتاب ثالث تحدث فيه باستفاضة عن موضوع الألفاظ المعربة التي دخلت اللغة العربية ، وهو كتاب (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) .

وأما رأي السيوطي في موضوع الألفاظ المعربة في القرآن فيتلخص في وجود الكثير من اللغات فيه ، فهو يرى أن القرآن من كل لسان . وقد وضع السيوطي في كتابه المذهب رأيه حيث قال : "وأقوى ما رأيته - هو اختياري - ما أخرجه ابن جرير ، قال : أنبأنا ابن حميد ، أنبأنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن ابن المغيرة ، عن سعيد بن جببر قال : قالت قريش : لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا . فأنزل الله ﴿ لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ (١) .

وأنزل الله بعد هذه الآية القرآن بكل لسان فيه : ﴿ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ فارسية .

وقال حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، أنبأنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : قال في القرآن من كل لسان " (٢) . ونقل الثعالبي عن بعضهم قال : " ليس لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن " (٣) .

ثم يبين السيوطي الحكمة من وجود تلك اللغات الكثيرة في القرآن فيقول : " فهذه إشارة إلى حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن ، أنه حوى علوم الأولين والآخرين ، ونبا كل شيء . فأختير له من كل لغة أعذبا ، وأخفها ، وأكثرها استعمالا للعرب " . بل إن السيوطي ذهب في تأييده لوجود المعرب في القرآن

(١) سورة فصلت الآية (٤٤) .

(٢) مقدمة تفسير الطبري ٨/١ .

(٣) انظر المذهب للسيوطي ، ص ٦١ .

آراء المفسرين في اللفظ المعرب

إلي أبعد من ذلك فهو يستأنس برأي ابن النقيب الذي يرى في وجود المعرب في القرآن وجهاً من وجوه خصائص القرآن الكريم . يقول السيوطي : " ثم رأيت ابن النقيب صرح بذلك فقال في تفسيره : " من خصائص القرآن على سائر كتب الله المنزلة أنها أنزلت بلغة القوم الذي أنزلت عليهم ، لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم . والقرآن احتوى على جميع لغات العرب ، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير " ثم يقول السيوطي معلقاً على ما سبق : " قلت وأيضاً فالنبي ﷺ مرسل إلي كل أمة وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ ^(١) .

فلا بد أن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم ، وإن كان أصله بلغة قومه هو " ^(٢) .

ويذكر السيوطي لوجود المعرب في القرآن الكريم فائدة أخرى لما تعرض للفظ (استبراق) فيما نقله عن الجويني أنه إن قيل فيها إنها ليست بعربية ، وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة ، فالجواب على ذلك أنه لا يمكن لفصيح أن يأتي بمقابلة إلا أن يأتي بمتعدد من الألفاظ ؛ لأن العربي لا يجد لفظاً واحداً يدل عليه ؛ لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ، ولم يكن لهم بها عهد ، ولا وضع في اللغة العربية للدجاج الثخين اسم . وإنما عربوا ما سمعوه من العجم ، واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم ، وندرة تلفظهم به . وأما أن ذكره بلفظين فأكثر ، فإنه يكون قد أخل بالبلاغة ، لأن ذكر لفظين لمعنى يمكن ذكره بلفظ تطويل ، فعلم بهذا أن لفظ (استبرق)

(١) سورة إبراهيم الآية ٤ .

(٢) المذهب للسيوطي ، ص ٦٢ .

يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه. وأي فصاحة أبلغ من ألا يوجد غيره مثله ؟ ! (١) .

وقد كانت عناية السيوطي بالمعرب بالغة ، ويعد من أشهر المفسرين الذين صنفوا في موضوع المعرب في القرآن الكريم وأول من ألف فيه ، وهذا ما يظهر لنا خلال مؤلفه الذي صنفه في هذا الباب وسماه : (المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب) الذي لخصه بعد ذلك في كتابه (المتوكلي) ، وأفرد باباً خاصاً وواسعاً في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) للألفاظ التي وقعت في القرآن بغير لغة العرب ، ورتبها على حروف المعجم .

وقد أورد السيوطي - رحمه الله تعالى - في كتابه (المذهب) ، مجموعة من الكلمات نسبها براوياتها إلى لغات غير عربية كالحبشية والآرامية والنبطية والفارسية والسريانية والعبرية وغيرها ، وعندما تتبعت هذه الكلمات وقمت بعدها وجدتها ستة وعشرين ومائة كلمة ، مع الإشارة إلى أن كثيراً من تلك الكلمات ، يمكن إرجاعها إلى الأصل المشترك لتلك الكلمات كاللغات السامية أو أن بعضها لم تثبت عجمتها ، بل هي من الألفاظ العربية الأصيلة .

والباحث المتفحص لهذه الألفاظ المعربة التي نقلها السيوطي عن تكلم فيها يستطيع أن يسجل الملاحظات الآتية :

١- عدم مراعاة الدقة اللازمة في إسناد تلك الألفاظ إلى لغاتها الأصلية ، فكثيراً ما نجد نسبة لفظ معين إلى لغة معينة ، ولكن عند البحث عنها في قاموس تلك اللغة لا يعثر عليها ، وسأذكر مثالين على ذلك نبه الدكتور محمد السيد بلاسي أنه بحث عنهما في قواميس تلك اللغات إلا أنه لم يجدها (٢) .

(١) المذهب للسيوطي ، ص ٦٣-٦٤ .

(٢) ينظر كتاب المعرب في الكتاب الكريم د. محمد السيد علي بلاسي ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

نقل السيوطي عن ابن أبي شبيب عن ابن عباس في قوله تعالى : (هبت لك) أنها بمعنى هلم لك بالنبطية ، كما نقل عن ابن جرير عن الحسن : أنها كلمة سريانية يعني عليك^(١).

وعندما ذكر كلمة (غساق) قال : ذكر الجواليقي وغيره في قوله تعالى (غساقا) قال : هو البارد المنتن ، بلسان الترك " (٢).

ومثل هذه الأوهام نجدها عند كثير من علماء العربية الأقدمين ، وقد نجدهم معذورين إلي حد كبير لأن الدراسات الحديثة التي كشفت لنا عن أصول اللغات والتنقيب عن آثارها ، وكذلك علم الأصوات المقارن التي حددت لنا معاجم اللغات كلها علوم حديثة لا يزيد عمرها عن قرن أو قرنين ، وهذه الحقيقة وضحا لنا أحد العلماء ، حيث قال " ويلاحظ أن الفرق بين أحكام القدماء في نسبة الدخيل وأحكام المحدثين ، يكمن فيما أتيج لهؤلاء المحدثين من بحوث مقارنة بين مختلف اللغات والفصائل ، فهم يتتبعون الأصول اللغوية في نموها ، وفي انتقالها مع الفتوح والهجرات ، وتسلسل هذه الحركات التاريخية واللغوية ، وهو ما لم يرعه القدماء في إصدار أحكامهم الصادقة أحيانا ، ولكنها الموجزة أيضا ، فتتبع انتقال كلمة (الصراط) مثلا من اليونانية إلى العربية ، غير الآرامية ثم السريانية وغيرها من الكلمات كثير لم يتح لنا معرفته إلا بفضل علماء المقارنات السامية المحدثين وهو ما لم تتبين خطوطه ومعالمه قبل النهضة العلمية الحديثة" (٣).

(١) تراجع المذهب للسيوطي ، ص ١٥٦.

(٢) المذهب للسيوطي ، ص ١١٨.

(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث - د. عبد الصبور شاهين ، ص ٣٢٣-

٢- اعتماد السيوطي أقوال من نقل عنهم في نسبة العجمة لكثير من الألفاظ لمجرد بلوغهم رواية في ذلك ، أو وجود مشابهة بين لفظ عربي وآخر من لغة أخرى ولو في الصورة والشكل ، ولا شك أن السيوطي ومن رجع إليهم قد وفقوا في نسبة بعض الألفاظ إلى لغاتها لا سيما الحبشية والفارسية والرومية ، مثل : الجبت والطاغوت ومشكاة من الحبشية ، وزنجبيل وسرادق وسجين من الفارسية ، والصراط والقسطاس والقنطار من الرومية... إلخ^(١) وهو ما تؤكدته الدراسات اللغوية المقارنة الحديثة ، بيد أنهم أخطئوا في القول بعجمة بعضها ؛ لأن الدلائل قد قامت على أن تلك الكلمات عربية وصريحة ، ولا علاقة لها بمزاعم السيوطي من ذلك (كورت) و (غيض) و (أواه) و (أواب) و (رهوا) و (الينة) و (مناص) و (ناشئة) و (هون) و (بحور) و (رمزا) و (إصري) و (يصدون)... إلخ

ولتوضيح ما سبق ، أسوق هذه الأمثلة ليتبين الباحث ذلك معتمدا في تأصيل الألفاظ المذكورة على المراجع المتخصصة في هذا الباب ، خاصة أقوال علماء اللغة فقد ذكر السيوطي - رحمه الله - كلمة (طفقا) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾^(٢) .
ذكرها السيوطي في عداد الألفاظ الرومية حيث قال : طفقا قصدا " بالرومية " ^(٣).

وعندما نراجع معاجمنا اللغوية نجد أن أصحاب الشأن يؤكدون عروبتهما فابن منظور يقول عنها " طفق طفقا : لزم وطفق يفعل كذا يطفق طفقا:جعل يفعل وأخذ.وفي التنزيل ﴿ وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ .

(١) التعريب في القديم والحديث ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠

(٢) سورة طه الآية ١٢١.

(٣) المذهب للسيوطي ، ص ١١٢.

== آراء المفسرين في اللفظ المعرب ==

قال الليث " طفق بمعنى : علق يفعل كذا ، وهو يجمع ظل وبات قال :
ولغة رديئة طفق ... قال أبو سعيد : الأعراب يقولون " طفق فلان بما أراد ،
أي ظفر وأطفقه الله به إطفاقا إذا أظفره الله به ، ولئن أطفقني الله بفلان لأفعلن
به" (١).

ويقول ابن قتيبة في تفسيره ، وطفقا : أي جعلنا وأقبلنا ، يقال : طفقت أفعل
كذا (٢) فالمرجعان السابقان يؤكدان أن هذه الكلمة عربية أصيلة ، حيث توافرت
مادتها في اللسان العربي بجميع تصاريفها وهذا دليل دامغ على أصالتها في
اللغة العربية .

وذكر السيوطي كلمة (غساق) في عداد الألفاظ التركية حيث قال عنها :
هو البارد المنتن ، بلسان الترك (٣).

ولكن العلماء يؤكدون أن هذه الكلمة عربية أصيلة ، يقول ابن منظور :
غسقت عينه تغسق غسقا وغسقنا : دمعت ، وقيل : انصبت ، وقيل : أظلمت
وغسق الليل : ظلمته ، وقيل : أول ظلمته ، وقيل غسقه إذا غلب الشفق .

وقال الفراء في قوله تعالى ﴿ غَسَقَ اللَّيْلِ ﴾ (٤) وهو أول ظلمته وقال
الأخفش : غسق الليل : ظلمته .. ويقول ابن قتيبة : الغاسق : القمر سمي به
لأنه يكسف فيغسق أي يذهب ضوءه ويسود ويظلم غسق يغسق غسوقا : إذا
أظلم والغساق كالغاسق (٥).

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (طفق) .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص ١٦٦ .

(٣) المذهب للسيوطي ، ص ١١٨ .

(٤) سورة الإسراء الآية ٧٨ .

(٥) لسان العرب مادة (غسق) .

فهذه التصريفات توضح لنا أن هذه الكلمة عربية أصيلة ، بالإضافة إلي ذلك قام الدكتور بلاسي بمراجعة المعاجم التركية فلم يعثر على مادة هذه الكلمة^(١).

وهذا ما نجده كذلك منقولا عند الإمام السيوطي عندما اعتبر كلمة (وزر) التي وردت في قوله تعالى ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾^(٢).

لفظة نبطية ، حيث ذكر في : وزر " هو الجبل والملجأ بالنبطية^(٣). وعندما راجعت المعاجم اللغوية العربية ، وجدت ابن منظور يقول في اللسان " الوزر " الملجأ وأصل الوزر الجبل المنيع ، وكل معقل وزر ، وقال أبو إسحاق : الوزر في كلام العرب : الجبل الذي يلجأ إليه ، هذا أصله وكل ما التجأت إليه وتحصنت به فهو وزر^(٤).

وفي معجم غريب القرآن : قال ابن عباس " لا وزر : لا حصن^(٥). وبعد هذا الاستعراض السريع لمادة هذه الكلمة ، لا يبقى مجال للشك في أنها عربية أصيلة .

هذه أهم الملاحظات التي سجلتها على منهج السيوطي في المعرب .

٨- الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)

يعتبر الإمام الألوسي واحدا من أئمة التفسير المؤيدين لوجود المعرب في القرآن الكريم ، وقد فصل الألوسي أقوال العلماء في هذه المسألة تفصيلا شاملا عندما فسر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٦).

(١) المعرب في القرآن الكريم . د . محمد السيد بلاسي ، ص ٢٦٣-٢٦٦

(٢) سورة القيامة الآية ١١ .

(٣) المذهب للسيوطي ، ص ١٥٩ .

(٤) لسان العرب مادة (وزر) .

(٥) معجم غريب القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ص ٢٢٣ .

(٦) سورة يوسف الآية ٢ .

آراء المفسرين في اللفظ المعرب

وعبر عن ذلك التأييد لوجود المعرب في القرآن في العديد من المناسبات
أذكر منها ما يأتي : -

عند تفسير الآية السابقة في أول سورة يوسف ، قال : ولا يخفى على
الخبير بمزايا الكلام ، أن في الكلام العربي من لطائف المعاني ، ودقائق
الأسرار ما لا يستقل بأدائه لسان ، ويليه في ذلك الكلام الفارسي فإن كان هذا
مدار الفضل ، فلا ينبغي أن يتنازع اثنان في أفضلية العربي ، ثم الفارسي مما
وصل إلينا من اللغات ، وإن كان شيئاً آخر فالظاهر وجوده في العربي الذي
اختاره سبحانه أنزال القرآن به ، لا غير^(١) . وأكد هذا الموقف مرة أخرى عند
تفسير قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا
مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾^(٢) .

فقال في تفسير كلمة (مشكاة) هي الكوة غير النافذة كما يرى الجمهور ،
أو الحديدية أو الرصاصة التي تكون فيها الفتيلة في جوف الزجاجية ، أو الحديدية
التي يعلق بها القنديل كما يرى مجاهد.

وعن ابن عطية أنه أصح الأقوال ، وعلى جميعها : هو لفظ حبشي
معرب كما قال ابن قتيبة والكلبي وغيرهما^(٣) . وبهذا يظهر أن معظم المفسرين
ذهبوا إلى القول بوقوع المعرب في القرآن الكريم ، وذلك بناء على ظاهرة
التأثير والتأثر بين اللغات ، وذلك لا يخرج القرآن الكريم عن عربيته ؛ لأن
العرب عربت هذه الكلمات وأجرتها على لسانها فصارت عربية .

* *

(١) تفسير الألوسي ١٢/١٢١.

(٢) سورة النور الآية ٣٥.

(٣) تفسير الألوسي ١٨/١٦٦.

في ختام هذا البحث أجمل بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث أهمها ما يأتي :

١. نزول القرآن الكريم باللغة العربية خير ضمان لبقائها في أعلى درجات الفصاحة لأن القرآن أعجز فصحاء العرب .

٢. إن القرآن الكريم نزل بلسان قريش لاشتماله على أفصح لهجات العرب ومحاسن كلامهم .

٣. إن اللغة العربية شأنها شأن بقية اللغات العالمية تبادلت مع غيرها مفردات محدودة تأثرا بظاهرة الإقراض والاقتراض ولكنها تميزت بالإقراض أكثر لغناها في المفردات وسعتها .

٤. دراسة المعرب في القرآن الكريم تدلنا بشكل واضح على مدى تأثر العرب في الجانب اللغوي بغيرهم من الشعوب المجاورة لهم قبل الإسلام .

٥. وجود المعرب في القرآن الكريم لا ينقص من بلاغة القرآن وإعجازه ؛ لأن العرب تداولوا تلك الألفاظ وأخضعوها لمقاييس كلامهم قبل نزول القرآن بها ، وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم .

٦. إن اشتغال القرآن على لغات أخرى غير العربية يدل دلالة واضحة على عالمية القرآن لاشتماله على لغات كثيرة لأمم عديدة بخلاف الكتب السماوية السابقة التي خصت بأقوامها .

٧. إن معظم العلماء من اللغويين قالوا بوجود المعرب في القرآن الكريم انطلاقا من تعمقهم في اللغة وتطورها بخلاف الفقهاء الذين رفض معظمهم فكرة وجود المعرب في القرآن الكريم اعتمادا على ما فهموه من قوله تعالى " إنا أنزلناه قرآنا عربيا ... "

== آراء المفسرين في اللفظ المعرب ==

٨. إن المفسرين الذين رفضوا وجود المعرب في القرآن الكريم اعتمدوا في نظرتهم على تنزيه القرآن ولغته التي تعتبر من أوسع اللغات وأقدمها ، وأن ما قيل إنه معرب إنما هو من قبيل المشترك بين اللغات ، إلا بعض أسماء الأعلام ، فإنه لا خلاف بين العلماء في كونها أعجمية .

٩. إن بعض المفسرين ذهبوا إلى القول بوجود المعرب في القرآن الكريم انطلاقاً من كون تلك المعربات دخلت الي لغة العرب وعربت قبل نزول القرآن الكريم بها ، ولا يتناقض ذلك مع قوله تعالى : " إنا أنزلناه قرآنا عربيا ... "

١٠. إن وجود المعرب في القرآن الكريم دليل دامغ لدفع المسلمين إلى تعلم أكبر قدر ممكن من اللغات العالمية وذلك لأهميتها في الدعوة إلى الله ونشر دينه .

ولعل أهم التوصيات التي يمكن أن يصار إليها في مجال التعريب ما يأتي :

١. دعوى التعريب لا تعتمد إلا بمقاييس وأدلة واضحة مثل الاشتقاق ، أو خروج الكلمة عن خصائص اللغة العربية .

٢. عدم اللجوء إلى التعريب إلا عند الضرورة ، وقد أكد قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة علي ذلك حيث تضمن ما يأتي : " يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم "

٣. اللجوء عند الضرورة إلى ترجمة الكلمات الأعجمية ترجمة دقيقة تقوم مقام التعريب ، ويتم ذلك بتحري الناقل العليم بأسرار اللغة العربية اللفظ العربي الأنسب لأداء مدلول اللفظ الأعجمي.

٤. الكف عن استعمال اللفظ المعرب إذا كان له اسم في لغة العرب. وقد ذكر السيوطي في كتابه (المزهري) أمثلة لبعض الألفاظ المعربة مع وجود كلمات عربية استخدمها العرب في لسانهم قبل أن تعرب تلك الألفاظ ، مثل

كلمة (المعد) قبل أن تعرب كلمة (الباذنجان) و (السمسق والسجلاط)
قبل أن تعرب كلمة (الياسمين) ، وكلمة (العبير) قبل أن تعرب كلمة
(النرجس) وكلمة (الفتد) قبل أن تعرب كلمة (الخيار) وكلمة (المشموم
قبل أن تعرب كلمة (المسك) ..

٥. لزوم إنزال اللفظ المعرب على أوزان اللغة العربية حتي يكون عربيا عند
توافر الضرورة للتعريب ، كما فعل علماء اللغة في الألفاظ المعربة حيث
أخضعوها لمبادئ الاشتقاق في بنيتها ، فقالوا في كلمة
(زنديق) زندقة وتزندق . وفي كلمة (سرق) : بيت مسردق . وفي كلمة
(ديوان) دون تدوينها وفي كلمة (النيروز) : نورز ، ينورز ، وهكذا .

٦. مما سبق من تلك الضوابط والتوصيات تبقى اللغة العربية محافظة على
مكانتها الرفيعة بين لغات البشر تتأثر بغيرها وتؤثر فيها . وهذه الظاهرة
مستمرة دائما ، تمكن هذه اللغة العظيمة من استيعاب كل جديد فمفرداتها
غنية ، وأساليبها مرنة وبلاغتها فريدة ؛ لذلك كانت لغة القرآن الكريم الذي
تكفل الله تعالى بحفظه إلى قيام الساعة ، وهذا كفيل بحفظ لغة القرآن
الخالدة .

٧. هذا ما وفقني الله للكتابة في هذا البحث المتواضع ، وأسأل الله تعالى أن
ينفع به ، والحمد لله أولا وآخرا . وصلى الله على محمد وعلى آله
وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

* *

فهرس المصادر والمراجع

١. الإنقان في علوم القرآن ، للسيوطي - مصطفى البابي الحلبي - ١٣٩٨هـ
٢. البرهان في علوم القرآن للزركشي - ت. محمد أبو الفضل - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ط ٣.
٣. تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري - ت. أحمد عبد الغفور - دار الكتاب العربي - مصر .
٤. التطور النحوي للغة العربية ، للمستشرق برجستراسر - د. رمضان عبد التواب - مطبعة المجد - ١٤٠٢هـ.
٥. التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة ، د. محمد حسن عبد العزيز - دار الفكر العربي - القاهرة .
٦. تفسير الألوسي ، المسمى (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني) مكتبة دار التراث.
٧. تفسير ابن عطية ، المسمى (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) - ت. عبدالله الأنصاري- ، والسيد عبد العال السيد - ط ١ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
٨. تفسير القرآن العظيم لابن كثير - دار مكتبة الهلال ، بيروت - ١٩٨٦م.
٩. تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي - دار الفكر العربي - بيروت - ١٩٢٢م.
١٠. تفسير البياضوي ، المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) - البابي الحلبي - مصر - ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م
١١. تفسير ابن الجوزي ، المسمى (زاد المسير في علم التفسير) - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤هـ .

- د. عبدالله عبيد الدوسري
١٢. تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) - دار الفكر بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
١٣. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة . ت- السيد أحمد صقر - دار الكتب العلمية بيروت - ١٣٩٨هـ
١٤. تفسير القرطبي ، المسمى (الجامع لأحكام القرآن)- دار الكتب المصرية - ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م
١٥. التفسير الكبير للإمام محمد بن عمر الرازي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ٣ - ١٩٨٠م
١٦. تفسير الزمخشري المسمى (الكشاف عن حقائق التنزيل والتأويل) - دار المعرفة - بيروت
١٧. الخصائص لابن جني - ت. د. محمد علي النجار - عالم الكتب - ط ٣ - ١٤٠٣هـ .
١٨. دراسات في فقه اللغة - د. صبحي صالح - منشورات المكتبة الأهلية - بيروت - ط ١ - ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م
١٩. ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي - مطبعة المدني ، - القاهرة - ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م
٢٠. الرسالة للشافعي - ت. الشيخ أحمد محمد شاكر - ط مصطفى البابي الحلبي - ط ١ - ١٣٥٨هـ - .
٢١. الساميون ولغاتهم ، د. حسن ظاظا - دار المعارف - الإسكندرية - ١٩٧١م
٢٢. سير أعلام النبلاء ، الذهبي - ت. شعيب الأرنؤوط وآخرين - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٩ - ١٤١٣هـ

آراء المفسرين في اللفظ المعرب

٢٣. الاشتقاق والتعريب - د. عبد القادر المغربي - لجنة التأليف والنشر - القاهرة - ط٢ - ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م
٢٤. الصاحبي لابن فارس - ت. السيد أحمد صقر - ط عيسى البابي الحلبي - ١٩٧٧م
٢٥. فقه اللغة ، علي عبد الواحد - دار نهضة مصر .
٢٦. فنون الأفتان في علوم القرآن ، لابن الجوزي - ط. دار البيضاء .
٢٧. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، د. عبد الصبور شاهين - مكتبة الخانجي - القاهرة .
٢٨. لسان العرب ، لابن منظور - ت. عبدالله علي الكبير ورفاقه - دار المعارف - القاهرة .
٢٩. اللغة العربية كائن حي ، جرجي زيدان ، مراجعة : د. مراد كامل - دار الهلال .
٣٠. المزهري في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي - ت. محمد أحمد جاد الولي وآخرين - دار الجيل - بيروت
٣١. المصطلحات العلمية في القديم والحديث ، للأمرير مصطفى الشهابي - معهد الدراسات العربية العالمية - ١٩٥٥م .
٣٢. معجم غريب القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقي - عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ط٢ .
٣٣. المعرب في القرآن الكريم ، د. محمد السيد علي بلاسي - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - ليبيا - ط١
٣٤. المعرب من الكلام الأعجمي علي حروف المعجم للجواليقي - ت. أحمد محمد شاكر - دار الكتب المصرية - ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

٣٥. المغرب والدخيل في اللغة العربية مع تحقيق الألفاظ الواردة في كتاب
المغرب للجواليقي عبد الرحيم السبحان .

٣٦. المذهب فيما وقع في القرآن من المغرب للسيوطي - ت. د. التهامي
الراجي الهاشمي - اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين دولة
الإمارات والمغرب - مطبعة فضالة - المحمدية - المغرب .

المجلات :

١- بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية ، جوزي بندلي - مجلة
المجتمع - الكويت - مج ٣ .

٢- دفاع عن كتاب الله تعالى قضية الكلمات الأعجمية في القرآن ،
د. عبد العال سالم مكرم - مجلة الوعي الإسلامي .

٣- المفردات اللاتينية في اللغة العربية ، جوزي بندلي - مجلة الهلال - ج ٣٦.

* * *

